كتابي الأول

2008

كتابي الأول

2008

MY FIRST BOOK

Stories Written And Illustrated By Palestinian Children

تتقدم مؤسسة تامر بالشكر والتقدير لكل من ساهم باختيار افضل القصص لإنجاح مسابقة كتابي الأول لهذا العام ونخص بالشكر

عبلة طوباسي، وليد حشيش، ديما سحويل و سمر القطب

© جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

لا يجوز طباعة أو نسخ أو تصوير أو ترجمة هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال دون أذن خطي مسبق من الناشر

صدر هذا الكتاب بدعم من مؤسسة الدياكونيا السويدية Diakonia

مؤسسة تامر لتعليم المجتمعي

ص.ب ١٩٧٣، رام الله - فلسطين
هاتف: ٢/ ٠٢ ٢٩٨٦١٢١

مقدمة كتابي الأول ٢٠٠٨

لأن الطفل الفلسطيني صانعٌ صغيرٌ لا يكتفي بمراقبةِ الأحداث ورؤيتها عن قربٍ أو بعد، بل يسعى عفواً ليغيرَ فيها ولو القليل، فيقرأ القصص أولاً، ويتخيل أدوار البطولة كأنّه يعيشها في الزمان والمكان، ويحاول من بعد أن يقلّدَ الشخصيات في حركاتها وكلامها، يمسكُ أخيراً قلمه بعفوية ويبدأ كتابة قصته هو، بزمانه ومكانه وبالشخصيات التي يختارها، محاولاً تغيير الأحداث أو سردَ أحداث تخُصه بكلماته ورسوماته، صانعاً منها كتابَه الأولَ وصانعاً من نفسه كاتباً صغيراً.

كتابي الأول مجموعةُ قصص كتبها ورسمها أطفالٌ مبدعون من فلسطين، حدّثونا فيها عن ثبات شجرة السنديان وانتمائها، وعن الفتاة سمر التي تعشق البحر وتحب اللعب على رمله، وعن سميرة عاشقة القمر والليل، ورووا لنا عن طيبة العجوز وكرمها في «قلب العجوز الطيبة»، وعن مغامرات المتسول في «أنا والمتسول والغراب».

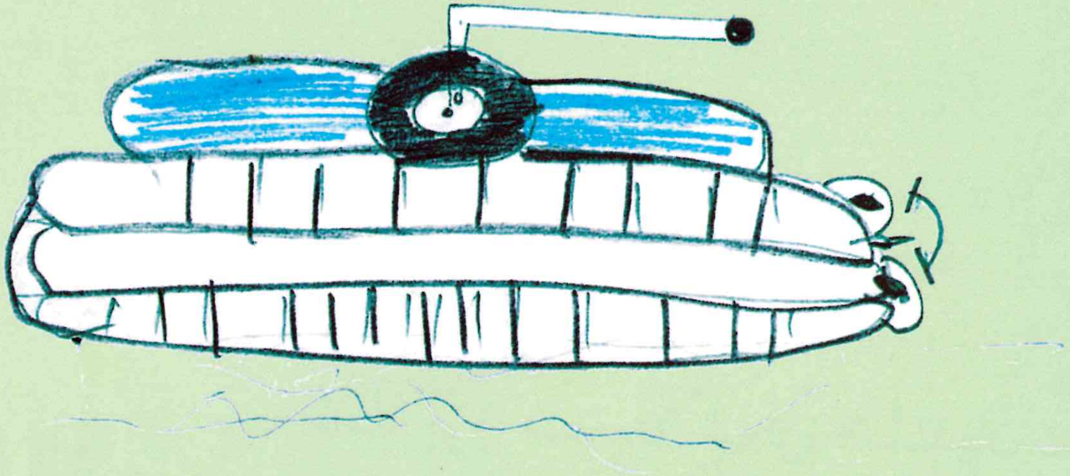

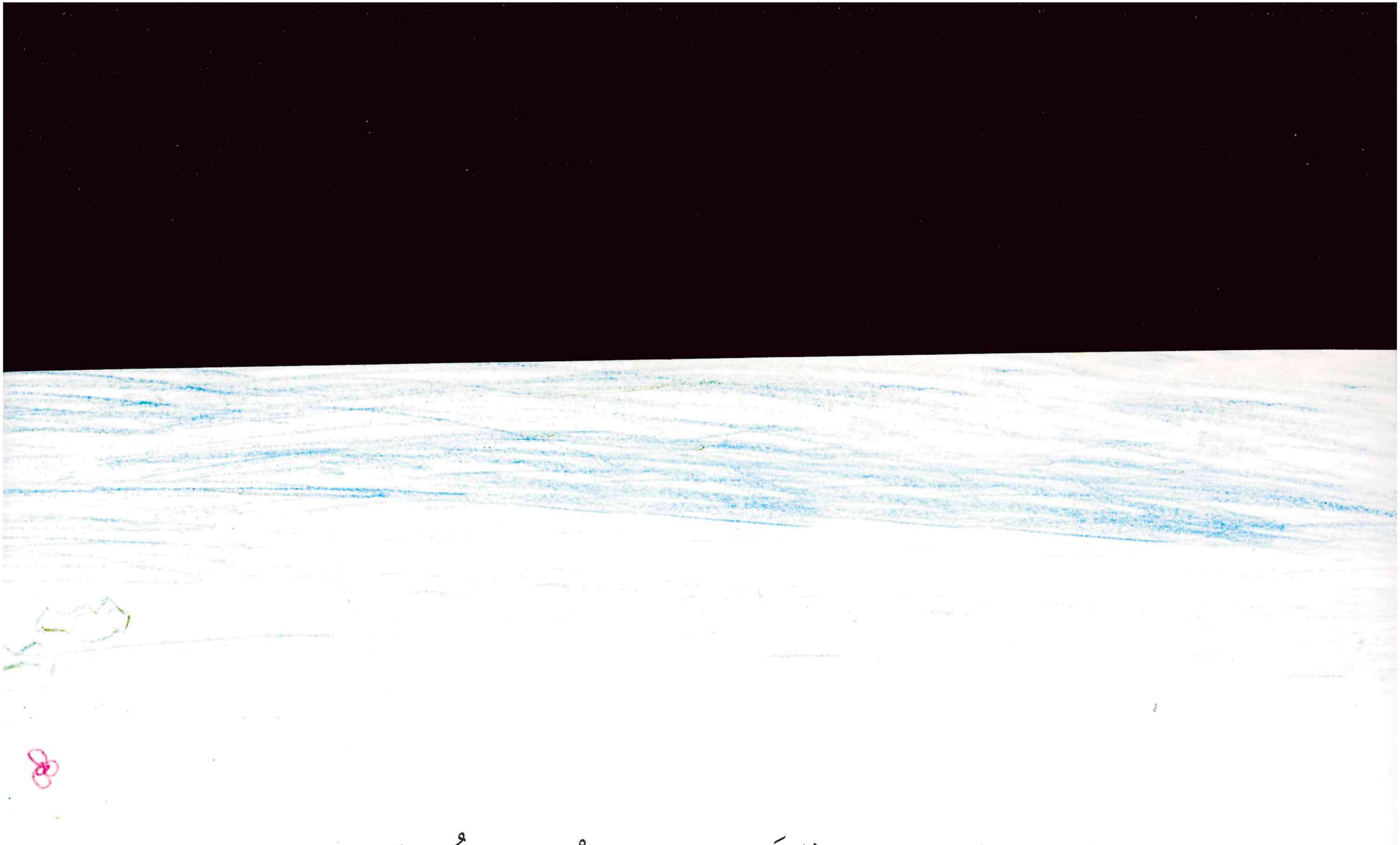

ذاتَ يومٍ سمعتْ شجرةُ السِّنديانِ هديرَ
الجرّافاتِ يقتربُ مِنها، فصاحتْ:

حدود وسلام =
حياة افضل

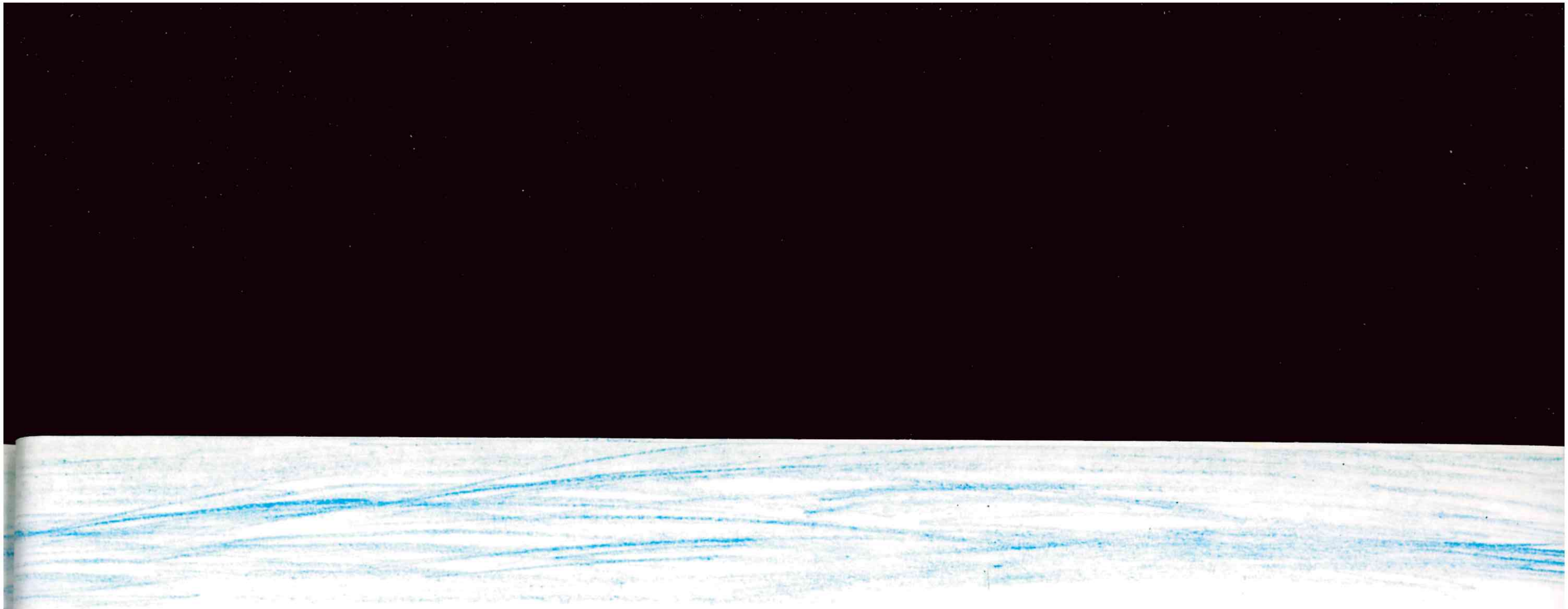

ثُـم أخذت تصيحُ : لـن يقدروا على مَحوي عـن الأرضِ، واجتثاثي من جُـذوري، سـمعتْها شـجَرةُ الزّيتونِ فقالـت : وأنا من ذا الـذي يجرؤُ على الاقترابِ منّي !؟

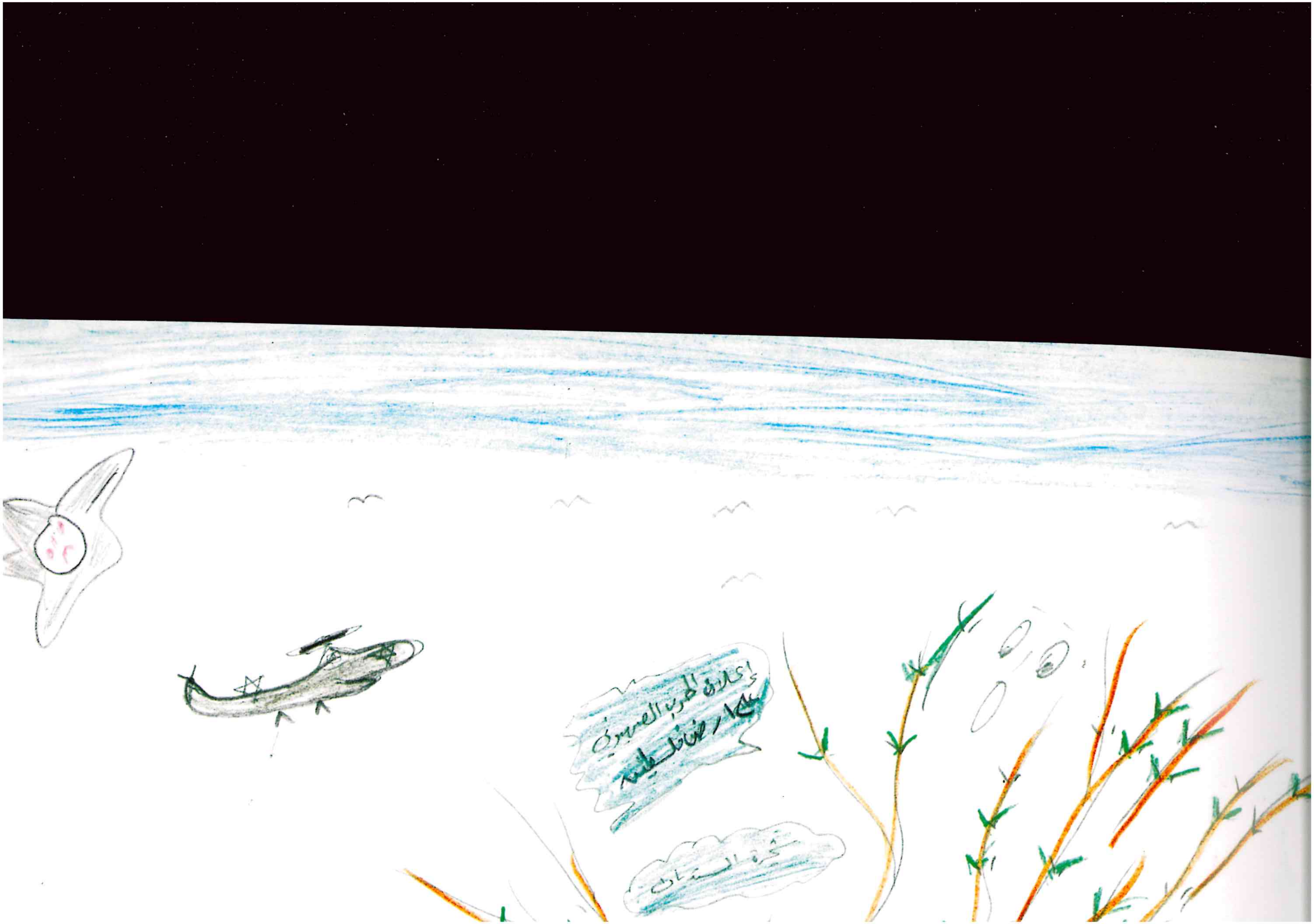
إعلان الحرب الصهيوني
على ارض فلسطين

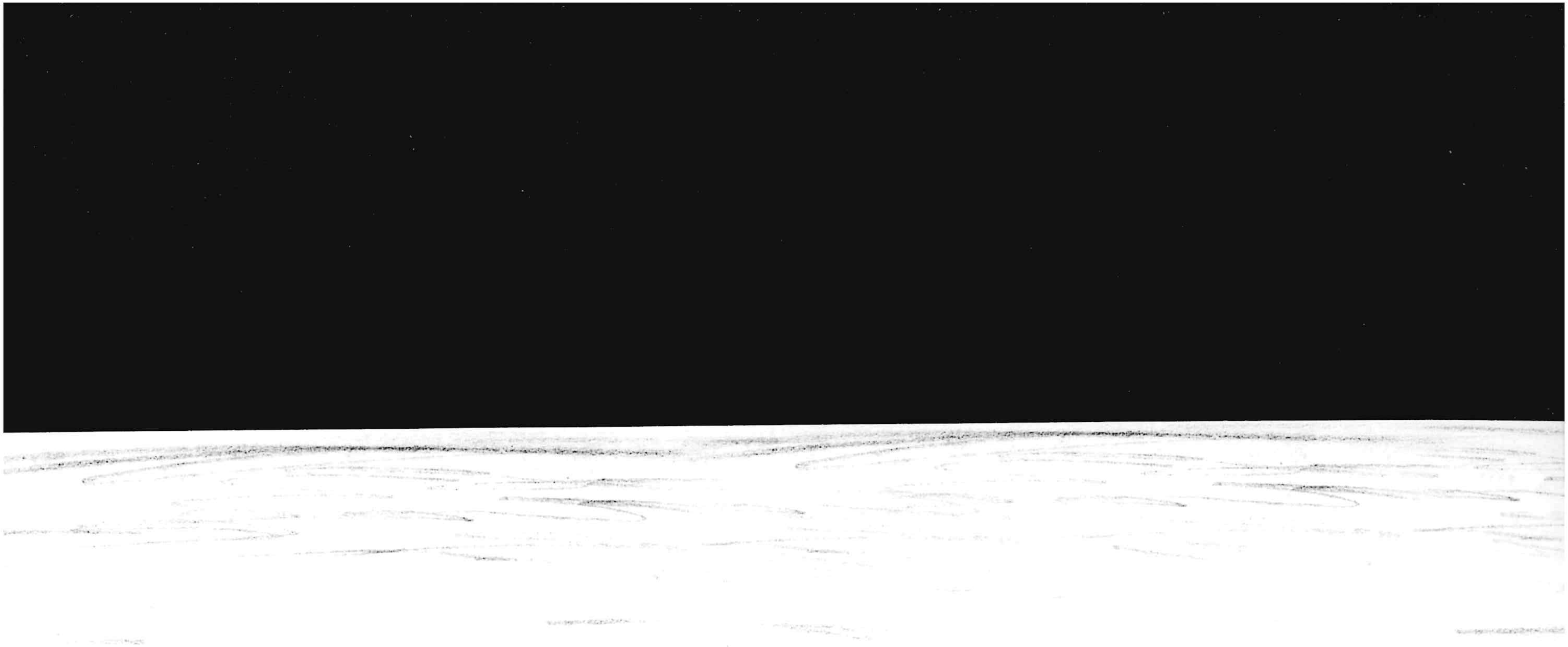

تقدمّت الجرّافةُ وعلا هديرُها ، فارتعدت أغصانُ شجرةِ الخرّوبِ وصاحت بِأعلى صوْتِها : أنا هُنا مُنذُ قُرونٍ ، أحملُ تُراثَ وطني في قُروني اللّذيذةِ ولن أسمحَ لِجرّافةِ الغدرِ أن تمسّني .

وتعالت الأصواتُ في السّماءِ وصداها يُدوّي

شجرة الزيتون

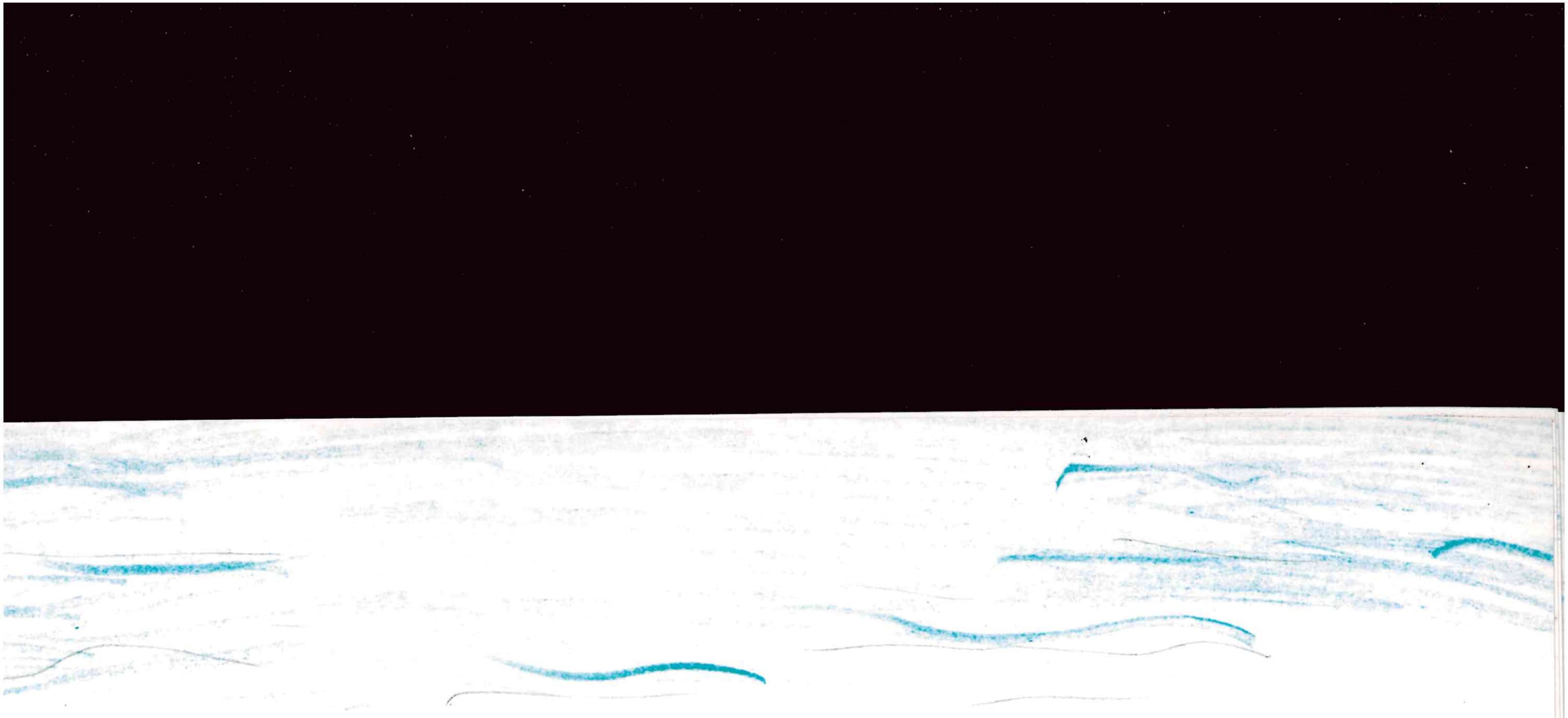

بِالعزيمةِ والتّصميمِ سنقوى عليهِ ونغلبُه، وما علينا إلاّ الصّبر وجمْعِ الشّتات،
ولن ننسى أنّ الصّبرَ مطيّةٌ لا تكبو، وهو شعارُ النّجاحِ.

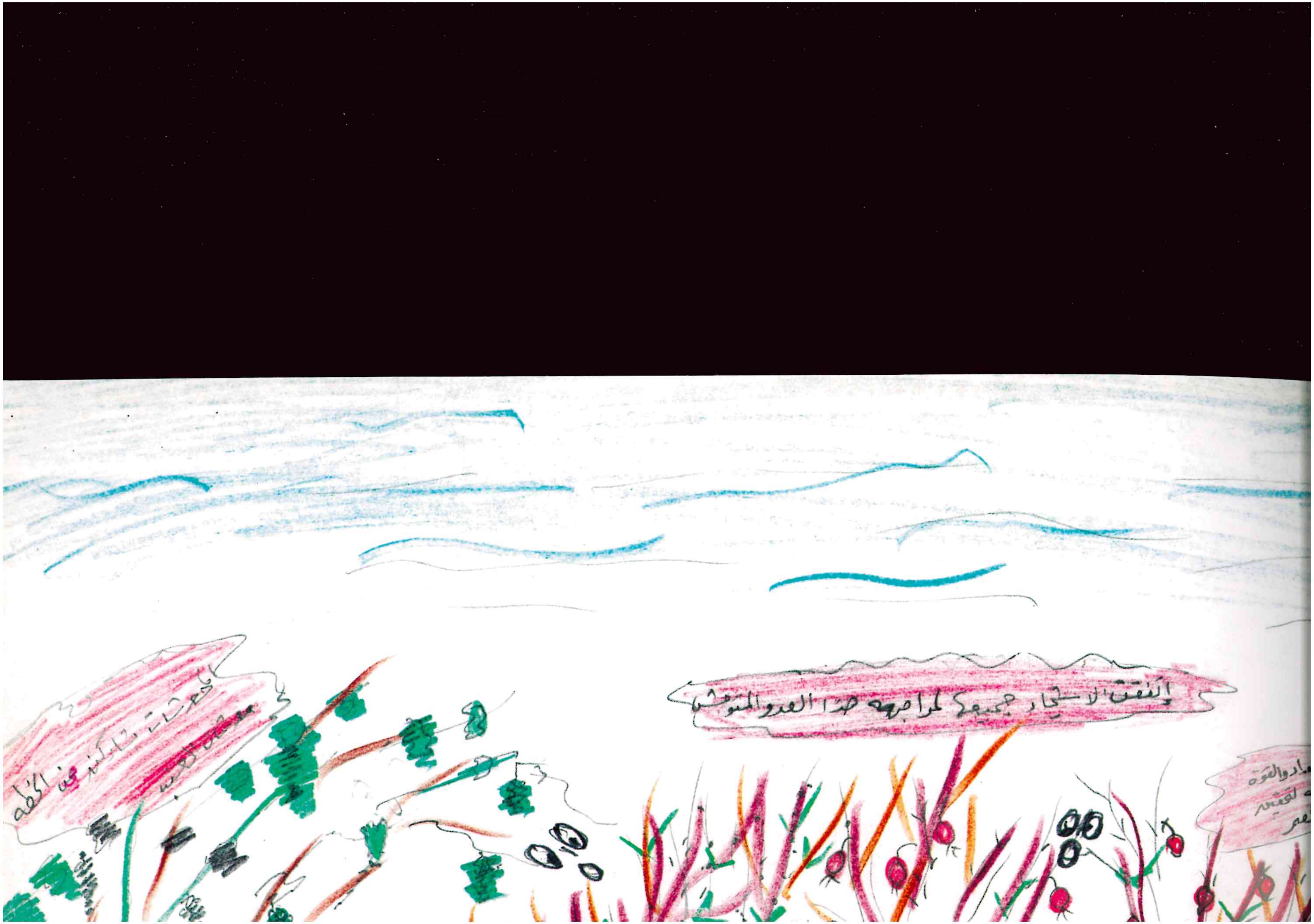
إلتفت الأشجار جميعها لمواجهة هذا العدو المتوحش

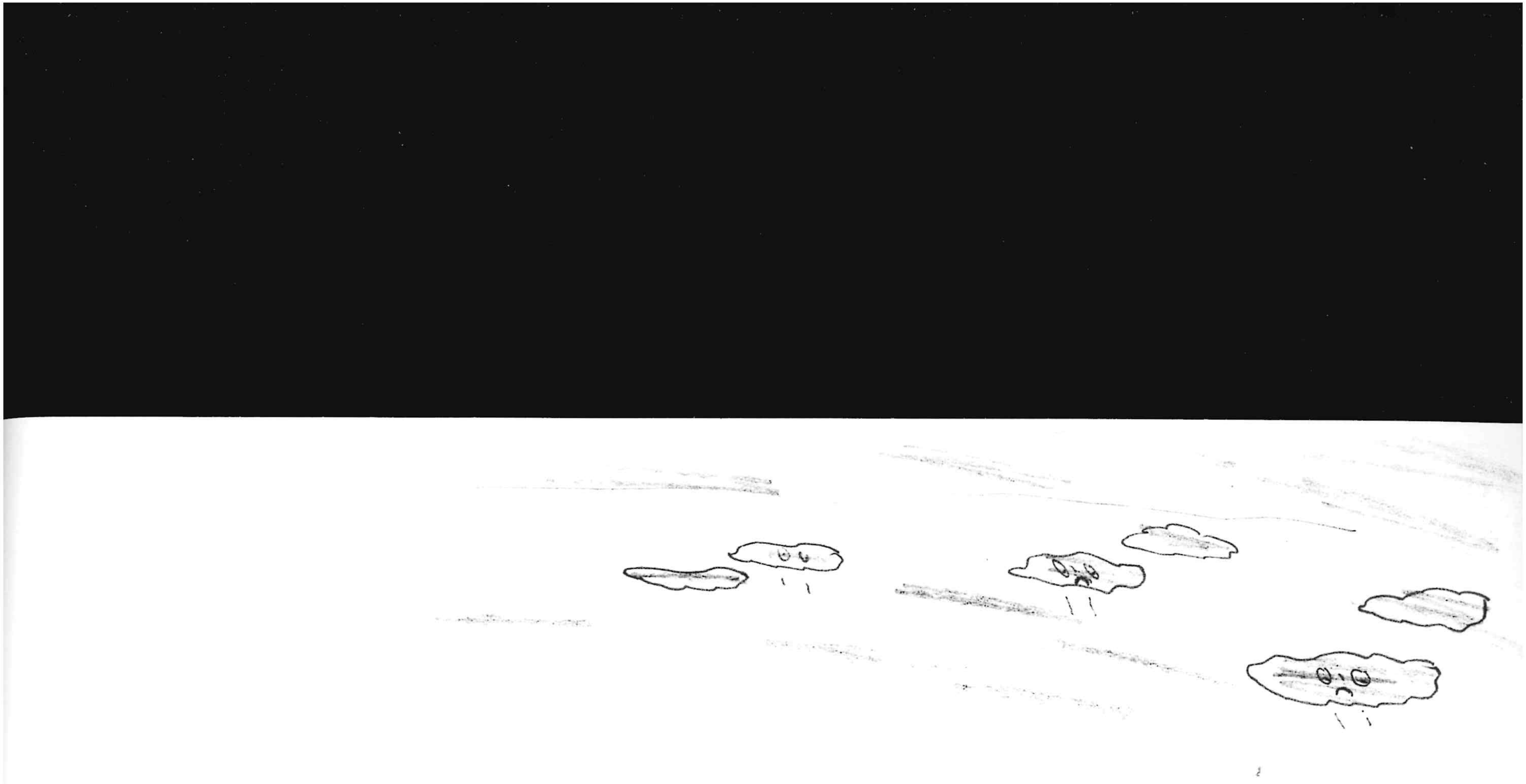

أجابت شـجَرةُ الرُّمـان: هذا تُرابنا، هذه أرضُنـا وأرضُ آبائِنا وأجدادِنا، كيفَ يجرؤُ هذا الغادرُ على تدميرِنا وتشـريدِنا؟ سندافعُ بكلِّ ثمينٍ ونفيسٍ، وسنصدُّ العدوَّ بأغلى ما نملك.

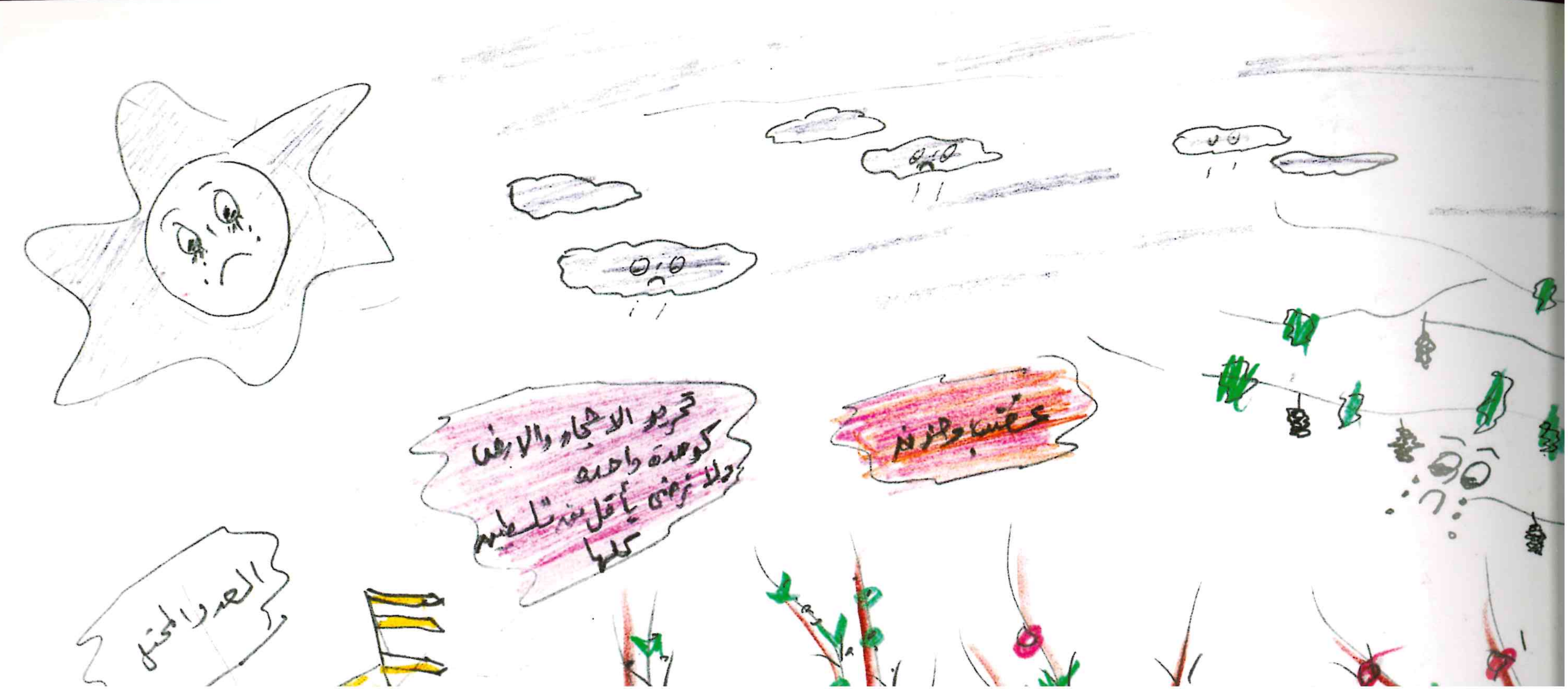
تحرير الاشجار والارض
كوحدة واحدة
ولا نرضى بأقل من فلسطين
كلها
عنب وزيتون
العدو المحتل

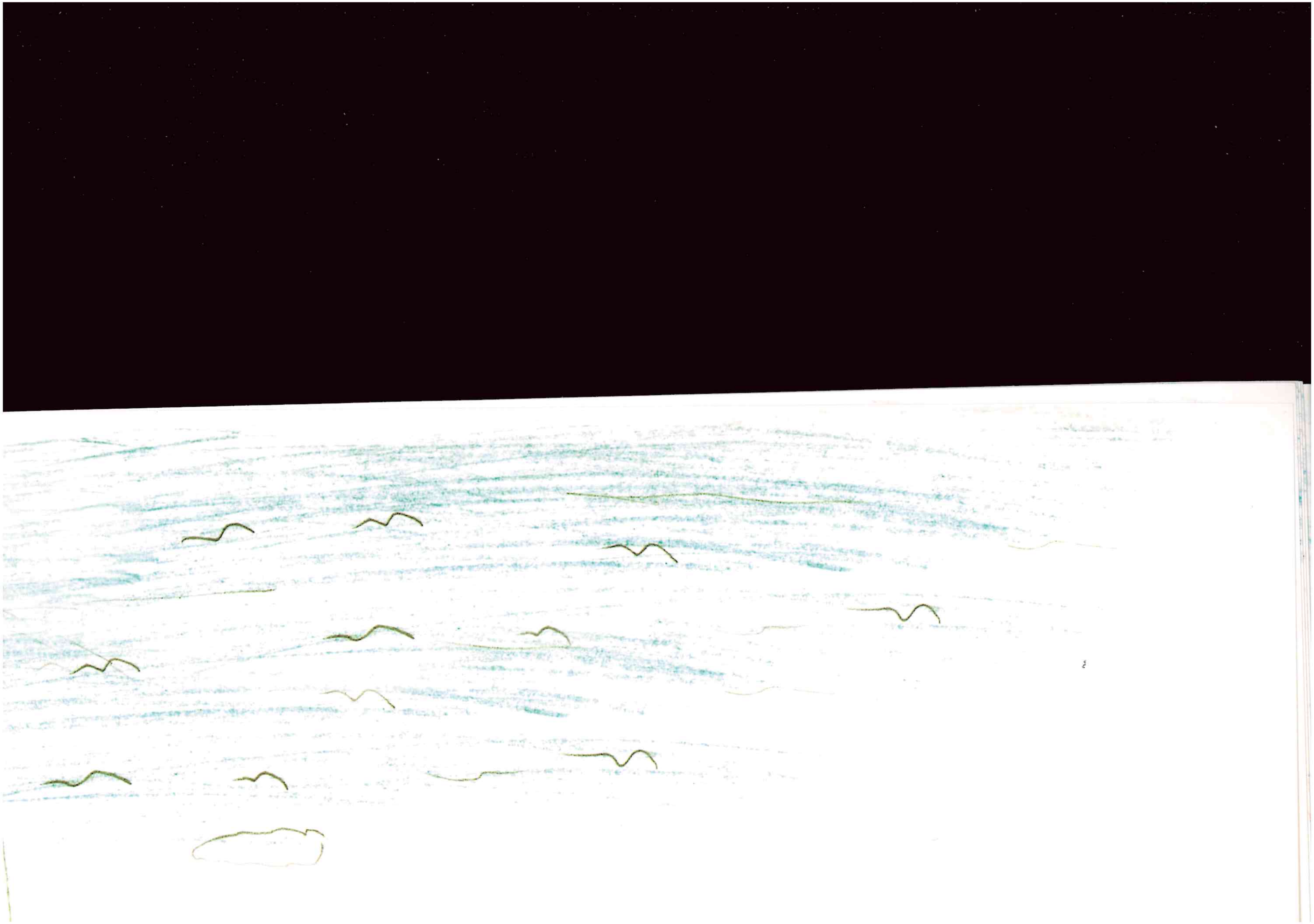

تُحبُّ سمرُ البحرَ كثيراً، وتحبُّ الذَهابَ إليهِ، واللّعبِ بالرّمالِ، كانت تبني قصوراً وقلاعاً من الرّملِ.

في أحد الأيّام، ذهبت إلى البحر، كان الجوُّ معتدلاً، جلست سمرُ على الشّاطئِ وكانت الشّمسُ في وسطِ السّماءِ، بدأتْ تتأمَّلُ الشَّمسَ وهيَ تُرسلُ خيوطَها الذّهبية كَأنّها تتعلّقُ بِشاطئِ البحر، بدأت تتخيّلُ ماذا سيجري إذا ما سقطت

سمعت سمرُ صوتاً يُناديها: سمرُ، سمرُ، التفتتْ، فرأت عروسَ البحرِ تمدُّ لها يدَها، وتسحبُها إلى البحرِ وهي تقول: لا تخافي، فقط افعلي مثلما أفعل، سبحت سمرُ وراءَ عروسِ البحرِ وهيَ سعيدةٌ، تفكّرِ بما ستراه داخلَ البحرِ. أحسَّت بالشَّمس تسحبُ من البحر ماءً لتخزِّنَه بالسُّحب وتُرجعُهُ إلى البحر في

وصلتْ سمرُ إلى قاعِ البحرِ، أرادتْ الجلوسَ على الصُّخورِ، التَفَتْ عليها الطّحالبُ البحريّةُ فَبدَتْ كأنّها سمكةٌ متخفيّةٌ داخلَ الطّحالبِ تحتمي من أعدائِها، وحينما مرّ الحوتُ الأزرقُ، وهو أكبرُ حيوانٍ بحريٍّ، باحثاً عن غِذاءٍ لهُ، رأتهُ يُحاولُ ابتلاعَ سمكةٍ، صاحتْ سمرُ: انتبهي، وأسرعتْ تُنقذها من فمهِ.

شكرتْ السّمكةُ سمرَ وقالت لها: اطلبي ما تشتهين، وسألبي لك الطلبَ، فقالت سمرُ: أتمنّى أن يكونَ لي بيتٌ كبيرٌ، فتحققَ طلبُها، وأتمنى أن يُصبحَ عندي أصدقاءُ كثيرون، فتحققَ طلبُها، وأن تمتلئَ خزانتي بالكنوزِ واللآلئِ التّي

تخيَّلتْ أنّها ستذهبُ لِتحضرَ عُرساً بحريّاً، وعندما وجدت عروسَ البحرِ طلبتِ مِنها أن تعملَ لها عُرساً بحريّاً، بحثت عروسُ البحرِ عن صديقِها داخلَ البحرِ وأخبرتْهُ بِطلب سمرَ، بدا صديقُها بإطلاقِ صافراتٍ يدعو فيها الأسماكَ، وأعدَّ مِنصّةً كبيرةً للعروسَيْن، وبدا يُزيِّنها بالمِرجانِ ونجومِ البحرِ والنباتاتِ، وبدتْ كأنّها ورودٌ وأنوارٌ تضيءُ المِنصَّةَ «اللوج» بدأ

سمعتْ عروسُ البحرِ تُعرِّفُ بها وتقول لها: أقدِّمُ لكِ سمكَ المربة، كانت تلبسُ فُستاناً أزرقَ كهربائياً، كأنَّها تتزيَّنُ بالكهرباءِ، و «التونا» لها جسمٌ ممتلئٌ في فستانٍ مُلوّن، والمنشارُ يُشبهُ المنشارَالخشبيَّ، والنّايُ يُشبهُ النّايَ، وأبو سيفٍ فمُهُ كأنَّهُ يُمسكُ فيهِ السَّيفَ، وصلت الدّلافينُ وبدأتْ ترقصُ على أنغامِ فِرقةِ الحيتانِ، وبدأ الجميعُ بالرَّقصِ والغناءِ حتّى تعبوا، وبدأت سمرُ تتخيّلُ شكلَ بيوتِهم وأُسرِهم وعائلاتِهم عندما سمِعتْ عروسَ البحر تقول لها: ألا تريدين أن ترجعي إلى

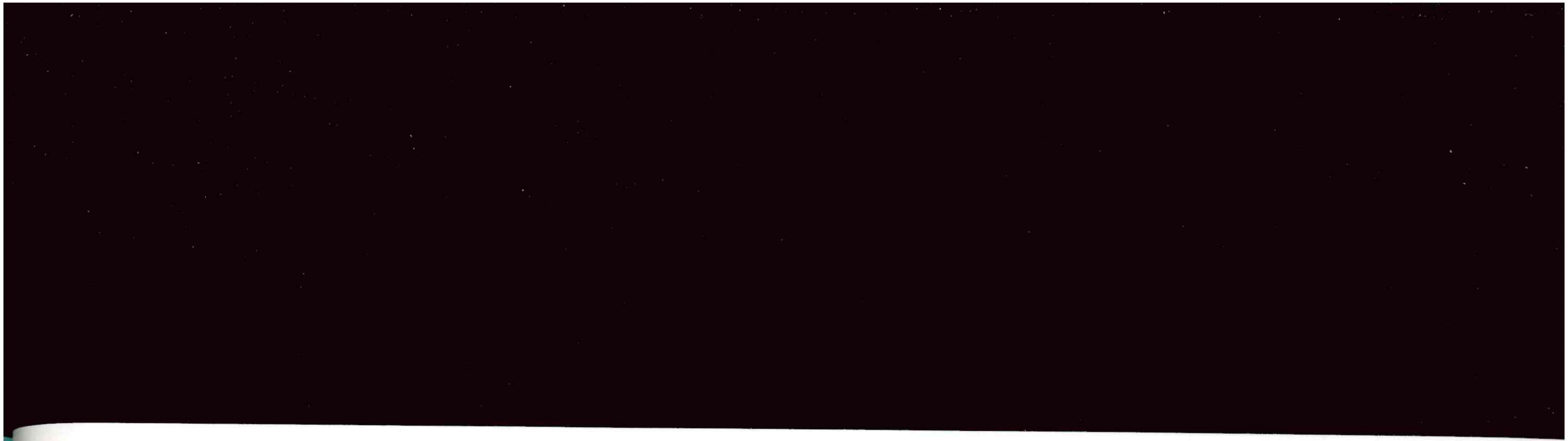

أجابتْ إحداهن: تمنيتُ أن أصبحَ سمكةً لأرى ما في قاعِ البحرِ، وأصبحتُ هنا داخلَ هذه المغارة، وأمّا الأخرى فتمنَّت على أهلها أن تسكنَ البحرَ، واقتربتْ إحداهنّ من سمرَ وقالت: اصطادَ أبي سمكةً وأنا حزنتُ عليها وأردتُ أن أُعيدها إلى البحرِ فقالت لي: اطلبي ما تشائين، فطلبتُ منها أشياءَ كثيرةً وتحققت كلُّ طلباتي، وعندما أحسّت السّمكةُ أنّ مطامعي لا حدودَ لها، أخذت منّي كلَّ ما أعطتني، ورمتْني داخلَ هذه المغارةِ .

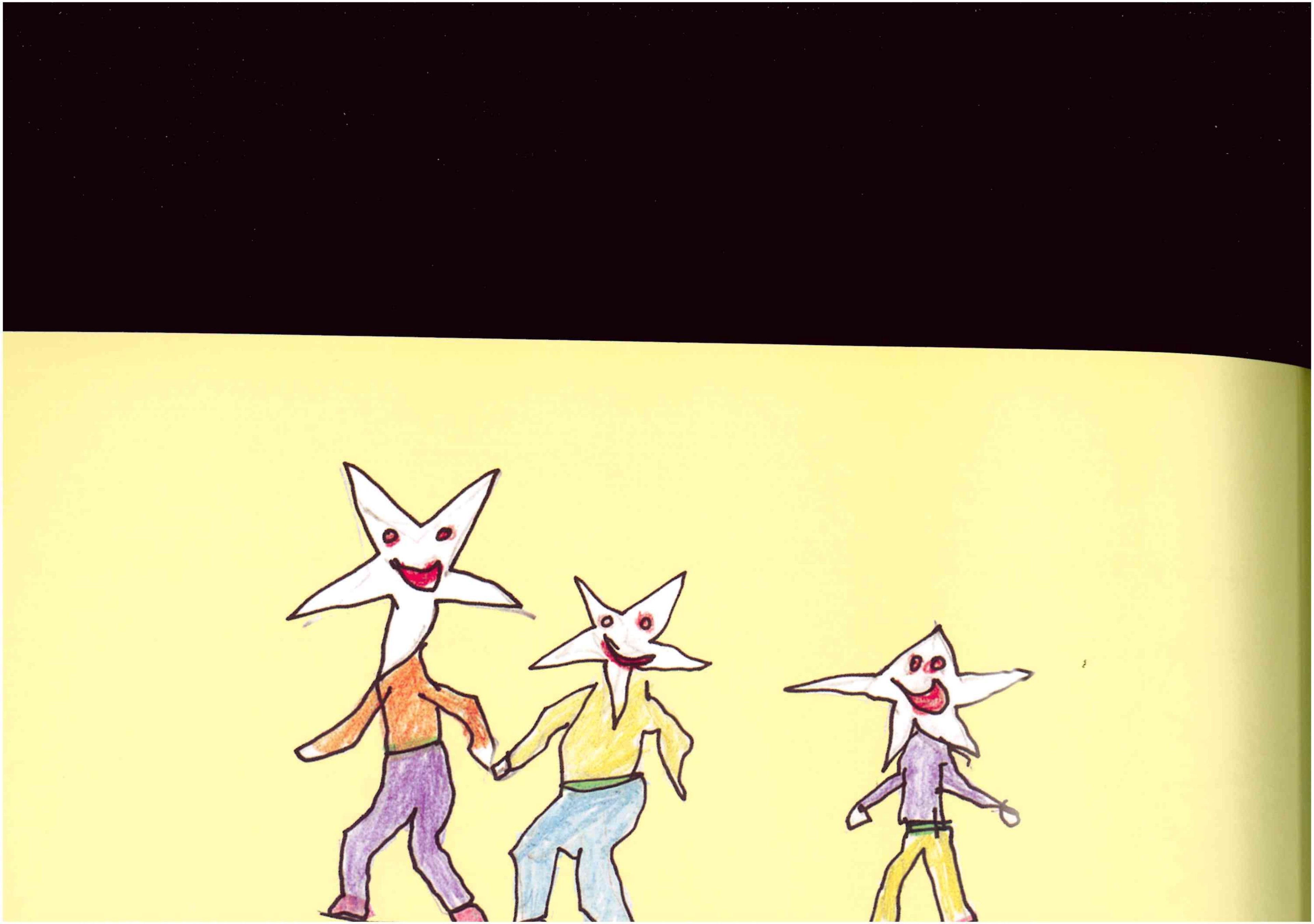

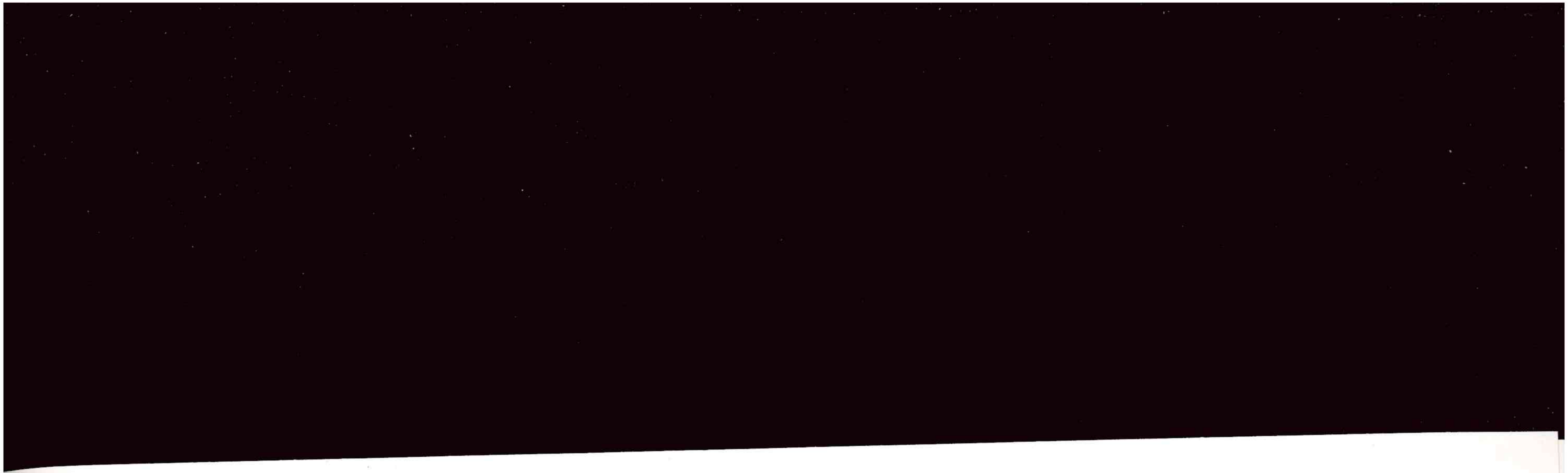

سميرةُ طفلةٌ تُحبُّ القمرَ والليلَ والنُّجومَ، سميرةُ تقودُ القمرَ في الليلِ وتتبعُها النّجومُ في جولةٍ إلى شاطئِ البحرِ، فهيَ تُحبُّ البحرَ وتُحبُّ سماعَ صوتِ أمواجِهِ المُتلاطمةِ، وترى القمرَ يسبحُ مُبتسماً، أمّا النُّجومُ فكانت تُراقبُ المشهدَ وهيَ تضحكُ.

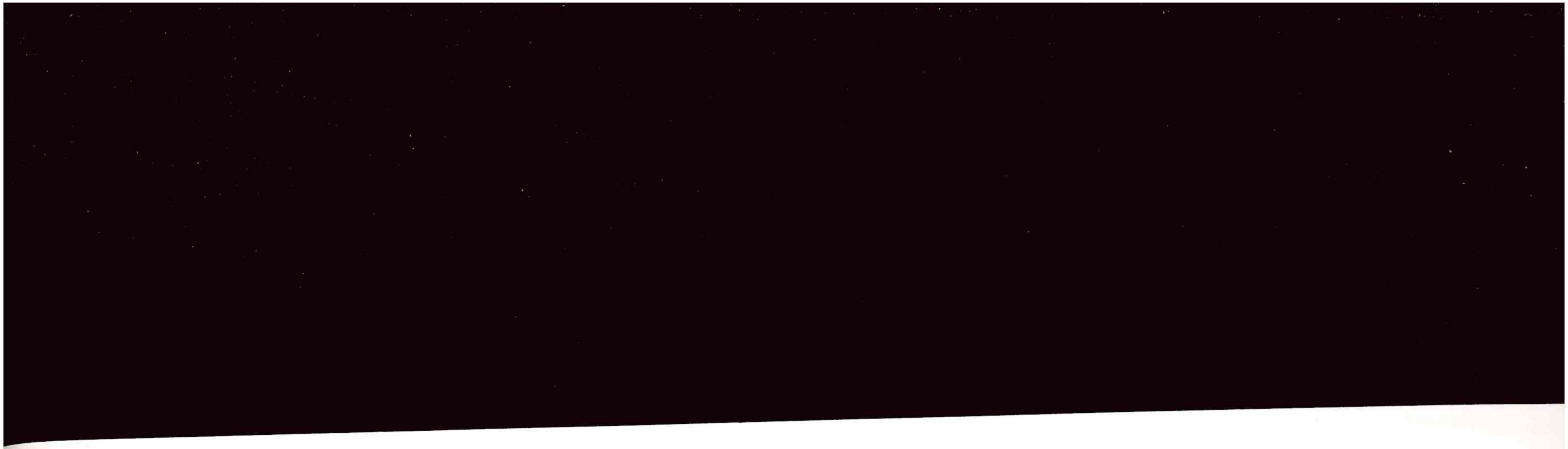

وحينَ يلتفتُ القمرُ إلى وجهِ سميرةَ كأنّهُ يسألُها : بماذا أردُّ على هذه النّجوم الّتي تُراقبُ حركاتي دائماً؟ فتفهمُ سميرةُ ما يرمي إليهِ . القمرُ يُحبُّ سميرةً كما تُحبّهُ هي ، لذلكَ فإنَّهُ يُواصلُ النَّظرَ إليها وإلى البحرِ فهو يُحبُّ سماعَ صوتِ الأمواجِ وهيَ تتلاطمُ .

سميرةُ تُحبُّ صديقَها القمرَ ، وتُحبُّ الليلَ والنّجومَ ، تظنُّ أنّ القمرَ هو قمرُها وحدَها ، فهو دائمُ النَّظر إليها ، وهيَ تنظرُ إليه ، فعندما تسيرُ في الطّريق يسيرُ

منذُ كانتْ صغيرةً تُحملُ على كتفِ أُمّها وهيَ تنظرُ إلى السَّماءِ، فترى القمرَ يبتسمُ لها، من البابِ تنظرُ فتراهُ، وهيَ على السَّريرِ تنظرُ فتراهُ، تظنُّ أنَّهُ وُلدَ يوم مَوْلدِها، وعندما تذهبُ لزيارةِ أحدِ أقاربِها يُرافقُها القمرُ، ويسيرُ معَها، نظرتْ إلى وجهِ صديقِها القمرِ وهوَ كاملُ الصَّفاءِ وقالت: أنا أُحبُّكَ أيُّها القمرُ يا صديقي وسأحكي لكَ حكايةَ البنت الّتي صادقت الشّجرة .

ولن أسمحَ لِلعصافيرِ أن تبنيَ الأعشاشَ على أغصانِها، ظلَّت تِلكَ البنتُ تحمِلُ الماءَ وتسقي بهِ الشَّجرةَ، وتنظرُ إليها فتُحبُّ لَوْنَها وشكلَها وطولَها.

يوماً قالت لِنفسِها: ستكونُ شجرَتي سعيدةً لأنّني أعتني بها وأُحبُّها، لكنَّ الشجرَةَ كانت حزينةً، تتمنّى أن يقفَ فوقَ غُصنِها عُصفورٌ يُغرِّدُ، أو يجلسَ تحتَ ظلِّها طِفلٌ يلعبُ.

لكنَّ سميرةَ لم تسمعْ كلامَ المُعلمةِ، وظلَّت تُحِبُّ شجرَتَها على طريقتِها حتّى ماتت الشّجرةُ فبكتها بُكاءً مُرّاً.

قالت المُعلمةُ: لقد ماتت الشَّجرةُ مِنَ الحُزنِ والوحدة، أمّا الطُّلابُ فقالوا: لقد ماتت الشَّجرةُ لأنَّ البنتَ لم تسمحْ لنا باللّعبِ تحتَ ظِلِّها ولكنَّ البنتَ قالت: لقد ماتت الشّجرةُ لأنَّ عُمرَها قد انتهى.

أنهت سميرةُ قِصَّتها لِتسمعَ
رأيَ القمرِ في سببِ مَوْتِ
الشَّجرة، وعندما التفَتت إلى
وجههِ رأتْهُ يمسحُ دمعةً لم يُردْ
أن تراها صديقتُه سميرة .

كانَ القمرُ يُفكِّر . . .

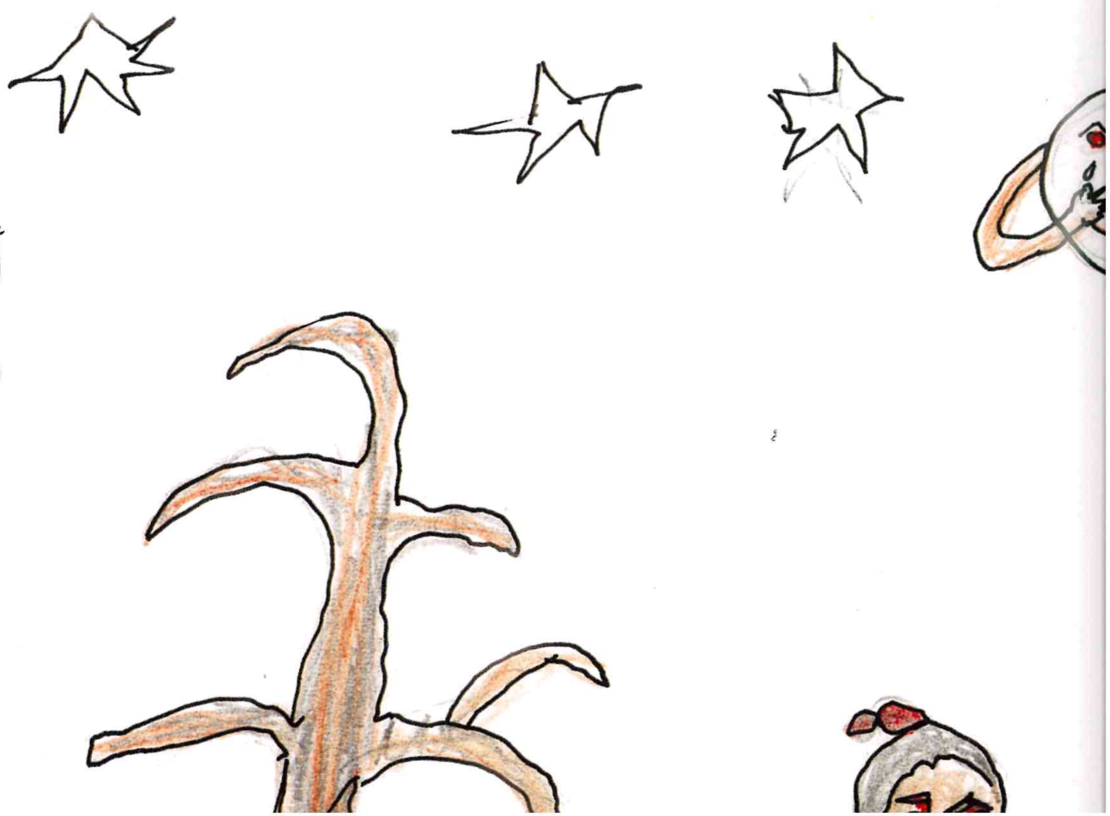

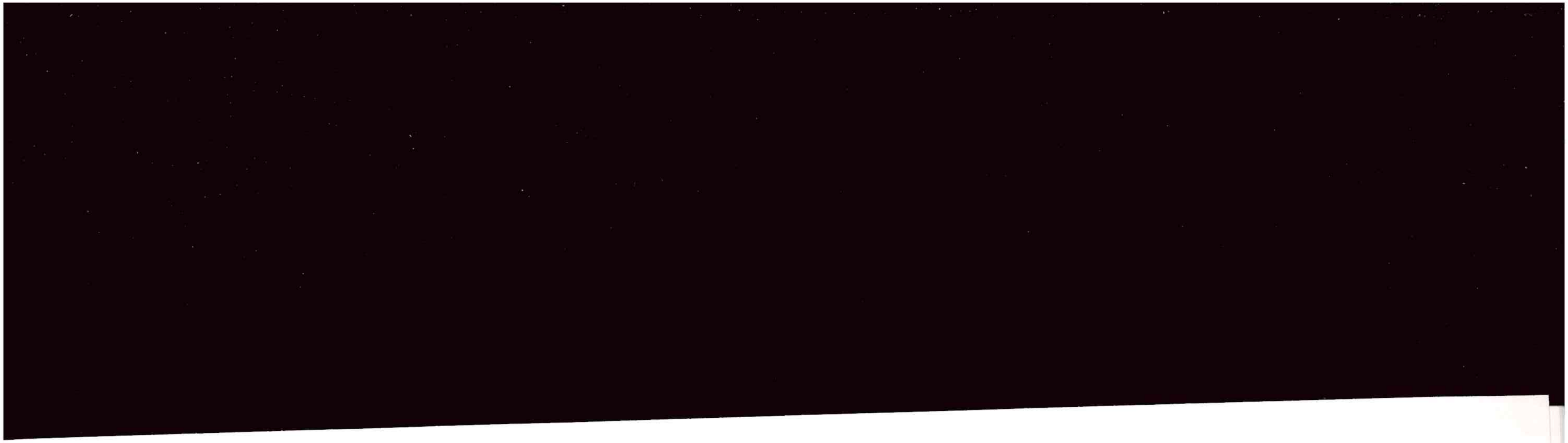

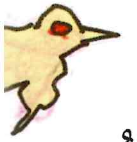

أنا القمرُ صديقُ الشَّجرةِ والبحرِ والأطفالِ واللّيلِ وسميرةَ، أنا القمرُ صديقُ كلَّ النّاسِ مِثلما الشّجرُ صديقٌ لِكلِّ النّاسِ، فقد أموتُ إذا مُنعتُ من البحرِ والهواءِ والأُطفالِ.

قبلَ أن تصلَ سميرةُ بيْتَها شعرت أنَّها أقوى لِأنّها تشتركُ مع الجميعِ في حُبِّ القمرِ وصداقتهِ، ثُمَّ ودَّعت قمرَها ودخلت بيتَها، ومِن سريرِها راحت تنظرُ إلى

كانت امرأةٌ مُسِنَّةٌ تسكنُ في بيتٍ صغيرٍ تتغذّى على طعامٍ وحيدٍ مِن شجرةٍ بجانبِ بَيْتِها، لها ثمرٌ يُسمَّى الجيزفون (أي الخوخ الأسمر).

في أَحدِ الأيّامِ ملّت العجوزُ من هذا الطّعامِ الّذي لا تملِكُ سِواهُ.

فماذا عمِلَتْ؟

قطفت سلّةً من هذه الفاكهةِ وخرجتْ بِها إلى السُّوقِ لأجل تبديلِها بسلّةٍ مِنَ

– أُعطيكَ سلَّةَ الخَوْخِ هذهِ، تأكلُ مِنها ما تسدُّ بهِ رمقَكَ .

– شكراً جزيلاً، ولكن بشرطِ أن تأخُذي باقةَ الزُّهورِ هذهِ .

أخذتْ المرأةُ المُسنَّةُ باقةَ الزُّهورِ، واستمرّت في طريقِها فقابلت غُلاماً شاحبَ الوجهِ وحزيناً .

نادتْهُ يا غلامُ، ما بِكَ ولِماذا أنتَ حزينٌ؟

أجابَها الغلامُ: أُمّي مريضةٌ وأنا لا أدري ماذا أفعلُ لها .

يجلسُ بِجانبِهِ رجلٌ عجوزٌ ضريرٌ يبكي بِحرقةٍ .

كنتُ في أحدِ الأيامِ خارجَ البلادِ لِلاستجمام، وإذا بي في صحراءِ الدّمامِ، بعد أن عرفتُ أني لستُ في الشّام، وها هي حِكايتي:

خرجت في الصّباح لأِتمشى، فأتاني متسوّلٌ لم يتعشّ، فأعطيتهُ المالَ الكافي، لِيحُلّ عن أطرافي. وبعد ساعةٍ كان معَ المتسوّلِ ولاّعةٌ، وهو يُدخّنُ الحشيشةَ، وكأنّ على رأسِهِ ريشةً، وكان يتمايلُ وهو يتمشّى، كأنّهُ في مِشيتِه أعشى، فتبعتهُ

أنّني وقعْتُ، دخلتُ وأغلقتُ البابَ، ولم أحسب لِما سأراهُ حِساباً. فتحتُ الكيسَ، وخرجَ مِنهُ ماردٌ إبليس، وطلبَ مِنّي التكنيسَ، فقلتُ: ما شأنُكَ بي أيّها الماردُ! وأنتَ الذي يجبُ أن تكونَ لي العابد، فقال: كنِس وإلا قتلتُك، بعدَ أخذي مالَك وبيتَك.

فكنسّتُ خوفاً على عُمري ومالي، وبعدَ عشْرةِ أيّام غرقَ الماردُ في بحرِ الأحلام، بعدَ أنْ أهلكَني من كثْرةِ الكلام، فحبستُه في الحمّامً، وخرجتُ باحثاً عن الغُلامَ،

عنَي القيْدَ، ولكَ عندي أكبرُ صيْدٍ، فعندي منجمُ لُجَيْن موجودٍ بينَ أرضَيْن هما السّعودية والبحرين. ففكرتُ وقلتُ: أأفكُ لجامَهُ وآخذُ مالَهُ، أم أتركُه بِحالِه؟ بِالطبع المالُ أفضلُ، وغيره لن أقبل. فقلتُ لَهُ: قد وافقتُ، لكن بشرط، أن تقولَ لِي أينَ الفِضّةُ بِالضّبط.

بدأتُ بالفكّ، واللعابُ يسيلُ من الفكِّ، ولكن يا لَيْتني ما صدّقْتُه، فقد سحرَني وما لحقْتُه، إذ حوّلني إلى غراب مجنونٍ، هذا الفتى الملعون. وهآنذا أطاردُه، كي أسمعَ باقي قصائده، بعد وُقوعي في مكائده، وأضاف قائلاً: وأنتَ ما حِكايتُك؟

أعادني البحرُ إلى الشّاطئ، وتبيّنَ لي أنّ فِكرنا خاطئ، ولا بدّ من طريقةٍ، لِكشفِ الحقيقةِ.

وفيما أنا في مكاني أُراوح، راودتني فِكرةٌ عندما مرّ من أمامي رجلٌ صالِح، فقلتُ لهُ: هناك شابٌّ طالِحٌ، أردتُ إرشادَهُ إلى الخَيْر، فحوّل صديقي إلى طيْر، فقلتُ أستعينُ بالغيرِ حتّى يدلّني على أبيهِ، لأخبرَهُ عمّا هوَ مُنهمكٌ فيه، لعلَّه يتمكّنُ من إِصلاحِه، وإعادتِهِ إلى صلاحِه. فقالَ الرّجلُ: ونِعمَ العمل.

[redacted]

وبقينا على هذا الحالِ حتّى وصلنا النّاصرة، فاشتريْتُ دابّة قويّة تغنيني عن طائرة، وحملْنا معنا من الزّادِ ما عمّ وزاد، ومشيْنا في سبيلِنا كي نتحقّقَ من أمرِ غريمِنا، ولمّا وصلْنا دمشقَ كادَ قلبي ينشقُّ، لقصّةِ الصّبيّ المؤلمةِ، التي تُذرفُ عليْها الدّموعُ المُحزنةُ، فتبرّعَ التّاجرُ بجزءٍ من أموالِه لِلأيتام خوفاً على أطفالِه، كي لا يُصبحوا كهذا الصّبيّ وفي مثلِ حالِه، فقد تُوفي والداهُ نتيجةَ بُخلِه وسوءِ أعمالِه، وعندها قرّرنا مُسامحةَ الولدِ عنْدَ العَوْدةِ إلى البلدِ، على أنْ يُعيدَ الغرابَ إلى تاجرٍ، ويعودُ إلى بيْتِه هذا الفتى المغامرُ.

وفي اليوم التّالي، أخذتُ زوجَتي وعِيالي، وأخذَ التّاجرُ زوجتَهُ وعِيالَهُ، وبِالطّبع

[redacted]

F
ATF
C.2.

إلى الشّام، وهوَ لِذلكَ عامدٌ، وطمعاً في الفِضّةِ قاصدٌ. الفضّةُ التي عرفَ بأمرِها من الغلامِ، والموجودةُ في صحراءِ الدّمّام. فعندما وصلْنا إلى مغارةٍ، تظاهرَ بالشجاعةِ، والقُدرةِ على الإدارةِ، فدخلْناها برِئاستِهِ، وخرجْنا منها بوحيٍ من ذكائِهِ ومهارتِهِ، مُحمّلينَ باللُّجيْنِ، عائدينَ لِكي نسُدَّ الدَّيْنَ، ونُكمِلُ رحلَتَنا إلى الشّامِ، لِكي نشكرَ الغلامَ، بعدَ شكرِنا للهِ على تحقيقِنا للغايةِ المرجوّةِ والمَرام.

وبعدَ أعوام، بعد تجارُبٍ طويلةٍ، وتأمُّلٍ في أحوال الدُّنيا والأنام، تأكّدَ لي أنّ المالَ والسّعيَ للحصول عليْه، ليسَ هوَ الوحيدُ المُعوَّلُ عليْه، أو هوَ وحدَهُ الذي